محاضرة الأدب الاسلامي

من كتاب الأمالي في الأدب الاسلامي للدكتورة ابتسام مرهون الصفار ، وديوان عَدي بن الرقاع العاملي

قصيدة عَدي بن الرقاع العاملي وتحليلها

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية
كلية التربية القائم / جامعة الأنبار

عدي بن الرقاع العاملي:

سيرته:

هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث العاملي[1]، شاعر عربي مغمور، نشأ في دمشق من سوريا وسكنها، كان هواه مع بني أمية يمدح أحياءهم، ويرثي أمواتهم، ويؤيد سياستهم، ويتحمس لهم، وبخاصة للوليد بن عبد الملك الذي نادمه ومدحه.

وعدي بن الرقاع سكن الأردن «الحولة» كما أنه نزل المدينة وجال فيها، يكنى أبو داود وقيل أبو دواد، وهو من أشراف بني عاملة، نسبه الناس إلى الرّقاع وهو جد جدته لشهرته بذلك.

يلف الغموض جوانب حياته، ولم تذكر الكتب غير شذرات منها، فتاريخ مولده غير محدد، وزوجته وأولاده مغمورون إلا ابنة واحدة اسمها سلمى كانت تقول الشعر، ولها حادثة مع قوم من الشعراء أتوه ليباتنوه وكان غائباً، فسمعت وهي صغيرة فخرجت إليهم وأنشأت تقول:

تجمعتم من كل أوب وبلدة على واحد لا زلتم قرن واحد

فأفحمتهم.

كان أبرص، وهو من حاضرة شعراء الشام لا من باديتهم، ومع ذلك فقد أجاد في وصف الظباء والرواحل حتى اعتبر من أفضل من وصف المطايا علماً أنه أحسن في فنون المديح والنسيب الرقيق اللطيف الخالي من تغزل شعراء الحجاز والعراق، وعدّه بعضهم من أنسب الشعراء.

---

(١) وقيل عدي بن الرقاع بن عصر بن عذرة بن سعد بن معاوية بن قاسط بن عميرة بن زيد بن الحارث بن قضاعة.

وضبط اسمه بفتح العين وكسر الدال وإدغام الياء، والرّقاع بكسر الراء وإدغامها.

قصيدة وتحليل

قال عَدي بن الرقاع العاملي يمدح عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم(☆) :

١ ـ لمن رسم دار كالكتاب المنمنمِ
بمنعرج الوادي فويق المهزم(٣٧٧)

٢ ـ عفت بعد اشباح الانيس كأنما
الشخوص بها خيلان حرض وعجرم(٣٧٨)

٣ ـ توهمتها من بعد ماقد خلا لها
اهلة حول بعد حول مجرّم(٣٧٩)

٤ ـ منازل أتراب تبدلن بعدها
بلاداً فبادت غير نوي مهدّم(٣٨٠)

٥ ـ سمن بغيث رابع فتبعنه
على كل موّار الملاط عثثم(٣٨١)

(☆) ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي تحقيق نوري القيسي ، حاتم الضامن ١٩٨٧ بغداد صفحة ١٢٨ فما بعدها

(٣٧٧) الرسم : الاثر ، ورسم دار : بقايا اثارها ، المنمنم : المحسن الموشى ، منعرج الوادي ، فريق المهزم : اسما موضعين

(٣٧٨) اشباح جمع شبح ويريد به الشخص ذاته . خيلان جمع خال وحرض : نبت هو الاشنان ، والعجرم : شجر تتخذ منه القسيّ

(٣٧٩) الحول : العام ، مجرّم : تام قد انقضى

(٣٨٠) اتراب جمع ترب وهن اللدّان او البنات في اعمار متقاربة

(٣٨١) غيث رابع : غيث في الربيع ، موار : صفة للفرس والبعير سريع الحركة والملاط الجنب ، والعثثم الكثير اللحم

٦ ـ طـوال القرى تحكي خطـــاه اذا مشى
تجـاوب احنـاء الغبيـط المقـوّم(٣٨٢)

٧ ـ تخطين بطن الستر حتى جعلنـــــه
على الغرب سير المنتـــــوي المتيم(٣٨٣)

٨ ـ فلمـا تجـاوزن الحصيـدات كلّهـا
وخلفن منهـــا كل رعن ومحـزم(٣٨٤)

٩ ـ دأبن لخيشـوم البيـاض الـذي لـه
من التـاج إكليـل كتـاج المسـوّم(٣٨٥)

١٠ـ مـدحت امير المـؤمنين الـذي اصطفى
لنـا ربنـا فضـلا على كل مسلم

١١ـ بنى الحمـد فيـه فـارتقى في مشرف
رفيـع من البنيـان لم يتثلم(٣٨٦)

١٢ـ فمـا في بني حـواء فرع يفـوقـه
بفـاضلـة دون النبي المكرّم(٣٨٧)

١٣ـ فمـا كان بـاب الحمـد حتى لقيتـه
بـاخرس مكنـون ولابمصتم (٣٨٨)

---

(٣٨٢) طوال القرى اي طـويـل القرى ، والقرى الظهر ويمدح البعير بطـول الظهر ، ويكره ذلك من الفرس . احناء الغبيط عيدانه واحدها حنو ، والغبيط ، الرحل يشبـه وقع اخفـاق البعير على الارض وصك الحجارة بعضها ببعض بصوت احناء الغبيط

(٣٨٣) الستر : واد ، المنتوي : صاحب النية ، المتيم القاصد

(٣٨٤) الحصيدات اسم موضع ، الرعن انف الجبل والمحزم منقطع انف الجبل

(٣٨٥) خيشوم : اقصى الانف ، الاكليل يريد به ماحاط بـه من الرمل،المسوم المعلم وهو الفـارس الذي يعرف بعلامة يعرف بها في الحرب

(٣٨٦) مشرف مكان عالٍ ، لم يتثلم : لم يتهدم

(٣٨٧) يقال للرجل الشريف فرع ، وفرع كل شيء اعلاه . فاضلة خصلة شريفة

(٣٨٨) مكنون مستور ، ومصتم ، مردود

١٤- جمعت اللواتي يحمد الله عبده
عليهن فليهنأ لك الخير واسلم
١٥- فأولهن البر والبر غالب
ومآبك من عيب السرائر يعلم
١٦- وثانية كانت من الله نعمة
على المسلمين انه خير منعم
١٧- وثالثة ان ليس فيك هوادة
لمن رام ظلما او سعى سعي مجرم(٣٨٩)
١٨- ورابعة ان لا يزال مع التقي
تحث بميمون من الامر مبرم(٣٩٠)
١٩- وخامسة في الحكم إنك تنصف
الضعيف ومامن علم الله كالعمي
٢٠- وسادسة ان الذي هو ربنا أصيد
طغاك فمن يتبعك لم يتندم
٢١- وسابعة ان المكارم كلها
سبقت اليها كل ساع وملجم
٢٢- وثامنة في منصب الناس انه
سما بك منهم معظم فوق معظم
٢٣- وتاسعة ان البرية كلها
يعدون سيبا من امام متمم(٣٩١)
٢٤- وعاشرة ان الحلوم توابع
لحلمك في فضل من القول محكم(٣٩٢)

---

(٣٨٩) الهوادة اللين ، وأجرم : اتى ذنبا ، يريد انك لاتلين مع من يريد الظلم او الاعتداء وانما ترده عن غيبه
(٣٩٠) ميمون : ذو يمن ، مبرم : محكم
(٣٩١) السيب : العطاء ، متمم : اي مكمل للمعروف
(٣٩٢) الحلوم : العقول ، يريد انك راجح العقل محكم القول

٢٥- جـواد فـلاينفـك يرفـد بـابـة
اولـو حـــاجـــة مستبشرون بمنعم

٢٦- فقـد جعلت كتـابـه في مـؤونـة
مفـــاتيـح من معروفـــه المتقسم(٣٩٣)

٢٧- اذا مـاحبـا وفـداً اتـاهم بمثلـه
ركـوب المـوامي بـــالمطيّ المخـزّم(٣٩٤)

٢٨- تقيس بـايـديهـا الفـلاة كأنمـا
مـــذارع ايـــديهن اذرع مـــأتم(٣٩٥)

٢٩- اذا شئت ان تلقى فتى البأس والنـدى
وذا الحسب الرابي التليـد المقـدم(٣٩٦)

٣٠- فكن عمراً تـــاتي ولاتعـــدّونـــه
الى غيره واستخبر النـــــاس وافهم

٣١- فتى حجبت عنـه الفـواحش كلهـا
فـــا اختلطت منـــه بلحم ولادم

٣٢- غـدا طيب الاثـواب ينفـح عرضـه
مبينـــاً لعين النـــاظر المتـوسم(٣٩٧)

٣٣- شـديـداً على ذي الضغن حين يريبـه
دفـــوعـــاً عن المستضعف المتهضم(٣٩٨)

---

(٣٩٣) يريد ان كتابه يتعبون لمحاولتهم تطبيق العدل الذي يريده في العطاء

(٣٩٤) حبا : اعطى ، الوفد جمع الوفود ، المومأة هي الفلاة

(٣٩٥) تقيس : تذرع

افحوص القطا موضع البيض ، عـاجهـا : عطفهـا ، المعرّس : الموضع الـذي نزلوا فيـه ، والمثـوى المقـام ، شبه اثار اقدامها بافا حيص القطا او النساء الممتدة اذا لطمن في مآتم

(٣٩٦) الندى السخاء ، الرابي الزائد ، التليد القديم

(٣٩٧) طيب الاثواب نقي العرض بريء من الدنس ، المتوسم المتفرس .

(٣٩٨) المتهضم : المنقوص من حقه المستذل . والهضم اصله الكسر

٣٤- كأن هلالاً واضحا فرجت له
شماريخ مزن رابع متغيم(٣٩٩)

٣٥- على منبر الوادي المقدس كله
يروح بقول ثابت المتكلم

٣٦- اغر محيا بالامارة وجهه
من المنجزين الحمد غير مذمم

٣٧- نماه الى علياء يهلك دونها
تكاليف ذي المأثورة المتكرم(٤٠٠)

٣٨- ثلاثة آباء له كلهم بنى
تمامها وملكا ثم لم يتصرم

٣٩- ملوك يرون العدل حقا عليهم
حسان الوجوه يهتدي بهم العمي

٤٠- فكانوا لنا نوراً باذن الذي له
علينا اياد من فضول وانعم

٤١- رأونا فولوا امرنا اتقياءنا
وما علمنا اننا لم نعلم

٤٢- فهذا ثنائي صادقا غير كاذب
عليهم ومن لم يقض بالحق يندم

---

(٣٩٩) شماريخ السحاب : اعاليه ، والمزن السحاب الابيض ، ورابع مطر الربيع يشبهه بالهلال الذي بدا من خلال السحاب المعطر

(٤٠٠) نماه : الى رفعه ، علياء شرف رفيع . التكاليف : مايتكلفه ويتجشمه . المأثورة . الاخلاق التي تؤثر

التحليل :

عدي بن الرقاع العاملي شاعر اموي مجيد له ديوان حافل بشعر المديح ـ مديح الخلفاء خاصة ـ واذا كان الامويون قد شجعوا الشعراء على المديح بعد استقرت دعائم الدولة العربية الاسلامية فان كثيرا من الشعراء ـ ان لم يكن معظمهم ـ قد قالوا فيهم مديحا ، حتى اولئك الذي عرفت عنهم مواقف سياسية معينة ، الا اننا نستطيع ان نعدد عددا من الشعراء ممن انصرفوا الى المديح ، واستنفذوا القول فيه ، ويبرز في مقدمتهم شاعران هما الاخطل(٤٠١) وعدي بن الرقاع العاملي ، اللذان يمثلان الشعراء الرسميين او الداعين الى تأييد السلطة لانصرافهما الى المديح في معظم قصائدهما ، ومحاولتهما الدفاع عن موقف الخلافة وتمجيد المآثر بما يرفع مكانة الخليفة في اعين الناس ويرد على مناوئيه .

لقد كان عدي بن الرقاع مقدما عند بني امية مداحا لهم خاصة الوليد بن عبد الملك ، وقد قيل انه دافع عن الخلافة وابدى ايمانه بالوفاء للدولة العربية ، ووضع نفسه في خدمة اهدافها ، والوقوف بحزم تجاه كل الحركات التي حاولت ان تقف بوجهها(٤٠٢) .. وقد دفعه هذا الوفاء الى اقتصار شعره على قادة الدولة وخلفائها خاصة انه عاصر خلافة عبدالملك بن مروان وامتدحه وامتدح ابنه الوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز .

والمتصفح لديوان عدي يجد فيه مطولات في المديح فقصائده في الوليد بن عبدالملك نجد فيها ماتجاوزت الخمسين بيتا(٤٠٣) ، وله قصيدة في مديح عمر بن الوليد بن عبدالملك تقع في ستين بيتا (٤٠٤) .

اجمل مدائحه في الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، وقد ذكر ان الاصمعي كان يسمي قصيدته التي مطلعها :

ام انتابنا من اخر الليل زائر

اهمّ سرى ام عاد للعين عائر

---

(٤٠١) يراجع في هذا كتاب الاخطل الكبير للدكتور فخرالدين قباوة : بيروت ١٩٧٩

(٤٠٢) ديوانه ـ المقدمة ص ٩

(٤٠٣) ديوانه : ٧٣، ٨٣، ٩٦، ١٢١، ١٥٠، ١٦٥، ومواضع اخرى

(٤٠٤) ديوانه : ١٠٨

كان الاصمعي يسمي هذه القصيدة بالحولية ، وذلك لما روي من ان عديا كان قد حبرها في سنة (٤٠٥) .

اما قصيدته التي اخترناها فهي تمثل انموذجا جيدا بين قصائد مديحه وهي من ناحية تمثل عودة القصيدة العربية الى ربوع القصائد التي رست دعائمها في العصر الجاهلي ، وهي من ناحية اخرى صورة لقصيدة المديح الجديدة التي تمثل العصر الاموي بظروفه واحداثه ، وفكره .

واذا كان صوت المديح قد خفت في عصر صدر الاسلام فان ماأثر عن الشعراء الاسلاميين من شعر مديح لم يكن تسجيلا لبطولات اشخاص او مآثرهم قدر كونه تمجيدا للجماعة الاسلامية والدعوة الاسلامية ، ولذلك لم تطل قصيدة المديح عصر صدر الاسلام وانما كانت جزءاً من شعر الدعوة الذي فيه تمجيد لحامل الرسالة (ﷺ) ومدح لاصحابه . وحين استقرت الدولة الاموية شجع الخلفاء الامويون الشعراء على المديح فعاد هؤلاء الى التراث الشعري الجم الذي خلفته القصيدة العربية ، وراحوا يستقون منه مقاييسهم في ابداع القصيدة المطولة التي تبدأ ببداية معروفة تشدّ انتباه السامع لينتقل بعدها الى غرض اخر مهد لها ايضا ، الوقوف على الاطلال ، او مناشدة الصحب للبكاء على الاحبة ليخلص بعد هذا الى التسلي عن الهم برحلة توصله اخيرا الى الممدوح .

ويبدي عدي في مقدماته الطللية محتذيا حذو القصيدة الجاهلية ، بصورها واخيلتها .

الابيات ١-٤

يتحدث فيها عن وقوفه في الديار التي امحت آثارها الاّ بقايا تذكره بالكتاب المنم وهذا تشبيه سبق ان اورده الشعراء في العصر الجاهلي وكرره من بعدهم الشعراء التقليديون . وان هذه الديار قد درست آثارها بعد رحيل اهلها عنها فيأتينا بتشبيه آخر هو تشبيه بقايا الديار بالخيلان (جمع خال) ونص على انه خال من نبت معين ، وربما يشير في هذا الى لونه الاسود لانه يريد بقايا الرماد والنار مثلا .

واما سبب وحشة هذه الاثار فلأن اهلها ارتحلوا عنها وتركوها قبل اعوام من ورود الشاعر مرة اخرى عليها ، ومع ذلك فهو مايزال يتذكر منازل الفتيات اللاتي كن فيها .

---

(٤٠٥) ديوانه ص ١٩٧

اما سبب رحلة الفتيات فهو جزء من رحلة اهلهن ، انه تتبع مواطن الماء والكلاء ولكنه نسب الرحلة الى الفتيات فقال (سمعن) (وتبعن) ولينقلنا الى صورة رحيلهن على الابل ويسترسل بعدها في وصف الابل وظهورها الطويلة ويشبه وقع اقدامها او مايصدر عنها من صوت حين تبرك باصوات عيدان الرحل اذا حرك . وحين تتجاوز النوق اسماء المواضع التي ذكرها الشاعر تصل الى الخليفة الممدوح .

والمعروف في القصائد التقليدية ان وصف رحلة الحبيبة تمكن الشاعر من الانتقال الى غرض الغزل اذ انه يبدي حزنه على الفراق فيتذكر الحبيبة ويتغزل بها فتهيج عواطفه ، وتتأزم نفسيته وتضطرم لواعج الحب فيه فيبحث عن السلو والنسيان ويركب ناقته ضاربا في الصحراء لينتقل بعدها الى وصف الممدوح الذي يستحق ان يحط الرحلة عنده بعد سفر مضنٍ اما شاعرنا عدي فانه تجاوز هذه الصورة التقليدية ، فيختلط علينا اول الامر من هو المرتحل ؟ اهم الاحبة الذين تركوا الديار ؟ ام الشاعر !! لأنّ عدياً وصف سبب رحلة الفتيات اللاتي اقفرت ديارهن بانه بسبب سماعهن بوجود غيث مريع فتبعنه ، لكن رحلة النوق التي وصفها الشاعر تنتهي بالممدوح ، وبذا تكون رحلة الاحبة ورحلة الشاعر واحدة ، السماع بوجود غيث مريع هو اشارة الى كرم الخليفة وان من يتبعه يجد عنده الخير والعطاء .. وبذا اتى عدي بصورة للرحلة رحلة الممدوح مخالفة لما جاء به الشعراء ، لانها رحلة فريدة رحلة الاحبة ورحلته هو الى الممدوح المعطاء .

في هذه الابيات يبدأ عدي بمدح الخليفة ولكنه فعل مافعل عبيدالله بن قيس الرقيات حين وصف عبدالملك بالسيادة ورمز اليها بلبس التاج ، الا ان عديا لم يكتف بصورة التاج رمز الملك بل تبعها بكونه امير المؤمنين الذي اختاره الله ، وفضله على كل الناس لخلقه ومكارمه ، ولكثرة مايمتدحه الناس فيه من خصال الحمد فانه قد بنى لنفسه مجدا رفيعا ، فما في بني حواء من يفوق فضله ونسبه الا الرسول الكريم (ﷺ) ، وانه قد جمع مكارم الاخلاق والصفات المثلى التي ترضي الله اولاً (جمعت اللواتي يحمد الله عبده) وهي صورة تليق بالخليفة التقي الذي يجب ان يرضي الله اولا ، ويرضي الناس عنه بسلوكه القويم وعدله .

هنا يعدد الشاعر فضائل الخليفة ، وكأنه يريد ان يوثقها بالتعداد والحساب مستخدما نص العدد ، اولاً ، ثانية ، ثالثة ... الى ان يبلغ العاشرة ، ومع انه بعد تعداد الخصال العشرة لم يتوقف عن ايراد غيرها الا انه ترك طريقة العد والحساب بسبب ثقل الاعداد المركبة او اعداد العقود وعدم صلاحيتها للغة الشعرية كما صلح تعداده الاول .

ان تعداد مآثر الممدوح بدت اقرب الى العد التوثيقي منها الى رسم الصور المادحة المتقننة

اولا : معروف ببره وحسن سره وعلانيته

ثانيا : انه نعمة من الله تعالى حين اختاره خليفة للمسلمين ولاينعم الله نعمة الا وفيها الخير الكثير العام .

ثالثا : انه يحد الظالم والمعتدي ويمنعهما عن غيرهما

رابعا : انه مع تقواه يصحبه الخير والتوفيق في كل امر يبت فيه برأيه

خامسا : ان الله قد علمه العدل ، وهدى طريقه اليه ، لذلك فهو ينصف الضعيف المظلوم

سادسا : ان الله قد اصطفاه لتولي الخلافة لسلوكه التقي ، وبذا فان من يتبعه لايندم لانه يجد الحق والخير عنده

سابعا : انه سباق للمكارم

ثامنا : ان مكانته في النفوس هي فوق مكانة الاخرين وهو بهذا يشير الى ماعرف به هذا الخليفة من حسن سيرة وصلاح قبل توليه الخلافة .

تاسعا : ان الناس كلهم يأملون الخير فيه

عاشرا : انه ذو عقل راجح واحكامه عادلة

الابيات من ٢٥-٢٨

يصف الشاعر عدي ممدوحه بالكرم والانعام على المحتاجين وانه في هذا غير مبذر ولامحاب لجماعة دون اخرى وانما هو معطاء قدر مايقتضيه الحق والعدل فالعطاء للجميع وهنا يأتي عدي بصورة فريدة هي ان ممدوحه قد اتعب موظفيه (كتابه) المكلفين بتدوين اسماء المحتاجين ، اتعبهم في شدة طلبه العدل في توزيع العطاء والخير للناس جميعا والبيت من ناحية اخرى يشير الى مهنة الكتابة وكونها وظيفة يعين من يتولاها الخليفة على تسيير امور الدولة .

الابيات ٢٧-٢٨ فما بعدها

يذكر عدي الوفود التي تقدم الى دار الخلافة طالبة عطاء الخليفة وكرمه ، ولكنه هنا يسترسل في وصف الرحلة . رحلة الوافدين - وكأنه بهذا يعوض عن وصف رحلته هو التي اجتزأها اول القصيدة

٢٩-٤٢

يعود الشاعر الى وصف شمائل الممدوح ، وهي شمائل تخص خير الدنيا والآخرة لان الخليفة جمع الصفات المادحة التي يتمناها الناس في اي ممدوح مع الصفات المادحة التي يجب توافرها في المؤمن التقي ، وفي من يتولى امر المسلمين ، فهو قد حجبت عنه الفواحش نقي السريرة ، نقي العرض ، بريء من الدنس ، قوي على الاعداء مدافع عن المظلومين ، منزلة مقدس كريم لما يصدر فيه من احكام عادلة ، نسبه شريف ، اباؤه خلفاء عرفوا بالعدل وهنا اشارة الى جد الخليفة عمر بن عبدالعزيز الخليفة العادل عمر واخيرا يختم الشاعر قصيدته كونه مادحا للخلافة على سبيل تثبيت الحق وتكريم من يستحق التكريم وانه صادق في هذا الثناء ، والمديح .

ونستطيع القول من خلال هذه القصيدة وقصائد عدي الاخرى ان عديا كان بحق شاعر الامويين المدافع عن وجهة نظرهم المحاول نشر الدعوة الى نصرتهم وتأييدهم من خلال ماسطره من مآثر ومثل ترفعهم في اعين الناس ، ومن خلال ردّه على مناوئيهم او الخارجين عليهم ، ويقف عدي هو والاخطل شاعران يمثلان الشعر الرسمي الذي اتخذ المديح اطارا له .(٤٠٦)

---

(٤٠٦) حذفنا من النص عشرة ابيات من وصف رحلة الوافدين وابقينا ابيات المديح الخالصة بالممدوح ، مع تسلسل الأبيات .